إذا ما شربت الخمر

قال له بعض الكلابيين: أشْربُ هذه الكأس سروراً بك، فقال له ارتجالاً: [الطويل]

إِذَا مَا شَرِبْتَ ٱلْخَمْرَ صِرْفاً مُهَنَّأً
شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ(١)
أَلَا حَبَّذَا قَوْمٌ نُدَامَاهُمُ الْقَنَا
يُسَقُّونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْعَزْمُ(٢)

أطعناك طوع الدهر

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي: [الطويل]

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ
لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ(٣)
فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لم تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِي(٤)

---

(١) صرفاً: صافياً لم يُمزج. يترفع الشاعر عن شرب الخمرة التي لم تُمزج بالماء، فشربه الماء دون سواه، إنه مشروب الكرمة.

(٢) الندامى، الواحد نديم: هو من يشارك شارب الخمرة في الشرب والحديث. يُعلن الشاعر عن حبّه وإعجابه بمن يُقاتل ويجعل القنا أليفة ونديمة له، تتكافأ بينهما المصالح، هو يسقيها دماء الأعداء فيرويها، وهي ترفع من شأنه وتُعلي مركزه فيتبوّأ ذرى المجد لشدّة عزمه وبأسه باستعمالها.

(٣) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣١٨. ملامي: لومي. النوى: البعد. السقم: المرض. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. الفراق شيء معنوي يرتبط بإحساس المرء ووجدانه. يلوم الشاعر البعد لأنه كان سبباً في التفريق بينه وبين حبيبته، وفي ذلك ظلم ما بعده ظلم، ولا بدّ من سبب حمل محبوبته على البعد، إنه البعد نفسه فقد يكون عاشقاً لمحبوبته كعشقه إياها.

(٤) زواه: نحّاه. يُردف الشاعر معلّلاً السبب الذي من أجله أن النوى يحول بينه وبين حبيبته، إنها الغيرة، غيرة البعد، الخصم المعاند في حبّ محبوبة الشاعر، لقد حرمه اللقاء، وفي نيّته الاستئثار بالمحبوبة دون سواه وتنحيته عنها.

أُمُـنْـعِـمَـةٌ بِـالْـعَـوْدَةِ الـظَّـبْـيَـةُ الّـتـي
بِـغَـيْـرِ وَلِـيٍّ كَـانَ نَـائِـلُـهَـا الْـوَسْـمِـي (١)
تَـرَشّـفْـتُ فَـاهَـا سُـحْـرَةً فَـكَـأَنَّـنِـي
تَـرَشّـفْـتُ حَـرَّ الْـوَجْـدِ مِـنْ بَـارِدِ الـظَّـلْـمِ (٢)
فَـتَـاةٌ تَـسَـاوَى عِـقْـدُهَـا وَكَـلَامُـهَـا
وَمَـبْـسِـمُـهَـا الـدُّرِّيُّ فِي ٱلْـحُـسْـنِ وَالـنّـظْـمِ (٣)
وَنَـكْـهَـتُـهَـا وَالْـمَـنْـدَلِـيُّ وَقَـرْقَـفٌ
مُـعَـتَّـقَـةٌ صَـهْـبَـاءُ فـي الـرِّيـحِ وَالـطّـعْـمِ (٤)

(١) أنعم: أعطى. الولي: المطر يُعقب الوسمي من المطر. الوسمي: المطرة الأولى في السنة. يسأل الشاعر نفسه متمنياً على حبيبته الظبية الرقيقة الأنيقة الجميلة أن تُعيد الكرّة مرّة أخرى، فقد كان لقاؤها الأول له بمثابة الوسمي الذي أحيا فيه النشوة بعد جفاف حياة لا ريّ فيها، فإذا بها تُحيل حياته إلى جنّة وروضة تزهر فيها أزهار الفرح والأمل. وللأسف لم يأت الولي ليزيد حياته بهجة.

(٢) ترشّف: امتصّ. السحرة: وقت السحر عند الفجر. الظلم: ماء الأسنان وبريقها. يذكر الشاعر مغامرته الليلية، لقد بات يرشف من ثغر حبيبته شهداً يمتصّه من بريق أسنانها ورُضابها، فكأنه كان يُطفئ لهيب شوقه من نبع رضابها البارد العذب مع الفجر الذي لم ينبثق بعد.

(٣) العقد: القلادة. المبسم: الثغر. درية، نسبة إلى الدرّ. الحسن: الجمال. النظم: للتناسق في كلّ شيء، يرسم الشاعر بريشة الفنان ملامح سريعة من حبيبته؛ يُزيّن جيدها عقد من اللؤلؤ، وتفترّ عن مبسم تناسقت أسنانه اللؤلؤية بشكل بديع منظم، كما أنها تمتاز بمنطق بديع جذّاب يحلو للمرء سماعها تنطق برقّة الأنوثة؛ فالكل ينتظم ويتناسق بشكل بديع.

(٤) النكهة: رائحة الفم. المندلي: نسبة إلى المندل عطر يصنع في بلاد الهند. القرقف: من أسماء الخمرة. الصهباء: الحمراء المائلة إلى بياض من الخمر. يردف الشاعر متمّماً ما بدأه في البيت السابق من تناسق ملامح حبيبته، فنكهة فمها عطرية الطعم والرائحة تُسكر كأنها خمرة عُتقت ذات لون أحمر يميل إلى البياض، وفي هذا الجوّ البديع يتضوّع المندليّ برائحته التي تدغدغ الأنوف وتُرسل إشعاعات الطيب.

جفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا
وَأَطْعَنَهُمْ وَالشُّهْبُ فِي صُورَةِ الدُّهْمِ (١)
يُحَاذِرُنِي حَتْفِي كَأَنِّيَ حَتْفُهُ،
وَتَنْكُزُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (٢)
طِوَالُ الرُّدَيْنِيَّاتِ يَقْصِفُهَا دَمِي
وَبِيضُ السُّرَيْجِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي (٣)
بَرَتْنِي السُّرَى بَرْيَ الْمُدَى فَرَدَدْنَنِي
أَخَفَّ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفَسِي جِرْمِي (٤)

---

(١) جفتني: بعدت عنّي ونبت. الشهب من الخيول التي في لونها بياض غلب على السواد. الدهم: السود. يذمّ الشاعر مسلك حبيبته، لقد بعدت عنه بجفاء، وهذا ما آلمه، وقد تناست أنه شاعر قومها وفارسهم يقودهم إلى النصر ويدفع عنهم بلاء الأعداء، فهو يبلو فيهم بلاءً حسناً على جواده الأشهب الذي غطته دماء الأعداء فبدا أدهم.

(٢) يُحاذرني: يخشاني. الحتف: الموت. نكزته الحيّة: لسعته بأنفها. يصوّر الشاعر شجاعته، فقرنه نذير خطر يهدّد حياته، لذا فإنه يداهمه لشدّة حذره بحيث يُودي به إلى التهلكة بقوّته وبطولته وشجاعته، حتى الأفعى فإنها لن تُؤثر فيه فسمّها يعود إليها قاتلاً لما يتمتّع به من شجاعة وحسن الدفاع عن النفس.

(٣) الردينيات: الرماح المنسوبة إلى ردينة. وهي امرأة كانت تقوّم الرماح. السريجيّات: السيوف المنسوبة إلى سريج وهو قين كان يصنع تلك السيوف. يُردف الشاعر متابعاً فكرته أن فكرة الحماية الذاتية التي يتمتّع بها قوية على ردّ الكيد إلى من يبغي إراقة دمه، فالرماح الردينية تتقصّف قبل وصولها إلى جسده والسيوف تتكسّر قبل ملامستها جارحة من جوارحه، وتتقطّع قبل أن تقطع لحمه، لأنه بطل صنديد يدفع البلاء عن نفسه بسلاحه.

(٤) برتني: أنحلت جسدي. السرى: المشي في الليل. المدى، الواحدة مدية: السكاكين. الجرم: الجسد. يصف الشاعر ما فعلته به الأيام، فقد أنحلت جسده كثرة ترحاله وانتقاله بين أرجاء بلاد العراق والشام من ممدوح إلى آخر يتنقل سائراً ليل نهار حتى بات أخفّ ما تحمل ناقته كنفسه الذي يُخرجه مع زفيره.

وَأَبْـصَـرَ مِـنْ زَرْقَـاءِ جَـوٍّ لأَنَّـنِـي
إذا نَـظَـرَتْ عَـيْـنَـايَ سَـاوَاهُـمَـا عِـلْـمِـي (١)
كـأنِّـي دَحَـوْتُ الأَرْضَ مِـنْ خِـبْـرَتِـي بِـهَـا
كـأنِّي بَـنَـى الإِسْـكَـنْـدَرُ الـسَّـدَّ مِـنْ عَـزْمِـي (٢)
لِأَلْـقَـى ٱبْـنَ إِسْـحَـاقَ الّـذِي دَقَّ فَـهْـمُـهُ؛
فـأَبْـدَعَ حَـتَّـى جَـلَّ عَـنْ دِقَّـةِ الْـفَـهْـمِ (٣)
وَأَسْـمَـعَ مِـنْ أَلْـفَـاظِـهِ الـلُّـغَـةَ الَّـتِـي
يَـلَـذُّ بِـهَـا سَـمْـعِـي وَلَـوْ ضُـمِّـنَـتْ شَـتْـمِـي (٤)
يَـمِـيـنُ بَـنِـي قَـحْـطَـانَ رَأْسُ قُـضَـاعَـةٍ،
وَعِـرْنِـيـنُـهَـا بَـدْرُ الـنُّـجُـومِ بَـنِـي فَـهْـمِ (٥)

(١) زرقاء: هي زرقاء اليمامة، امرأة من العرب كانت ترى على بعد مسيرة ثلاثة أيام. يروى «شأواهما» بدلاً من «سَاوَاهما». والشأو: المدى والغاية. يفخر الشاعر بأن نظره الحادّ مديد كنظر زرقاء اليمامة التي كانت مضرب المثل عند عرب الجاهلية ترى على بعد مسيرة ثلاثة أيام، ويساوي نظره علمه ومعرفته، لذا فعلمه سابق قلبي.

(٢) دحوت: بسطت. الإسكندر، ورد ذكره في سورة الكهف على أنه بنى السدّ بين يأجوج وسائر البلدان. يفخر الشاعر بأنه كثير الأسفار والترحال، فقد شقّ الأرض في الطول والعرض، فكان بها عليماً خبيراً، وكأن الإسكندر قد بنى السدّ من عزمه.

(٣) يتخلّص الشاعر إلى مدح ابن إسحاق، فكان «برتني السرى» مقدّمة طبيعية تمهيدية للمدح ليلقى ممدوحه الذكي الخارق الذكاء الدقيق الفهم، حتى فاق سائر البشر في هذا المجال، فكأنه عالم بالغيب يعرف دقائق الأمور.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٣. يروى «لها» بدلاً من «بها» ويروى «إن» بدلاً من «لو». لقد قطع الشاعر تلك المسافة الطويلة ليسمع منطق ممدوحه العذب بلغة عربية فصيحة في زمن شاعت فيه الأميَّة حتى في الأوساط العلمية المتخصّصة في علوم اللغة، فيلذّ للمرء أن يسمعه حتى في شتمه.

(٥) يمدح الشاعر ممدوحه مسترسلاً بذكر أنسابه، فقد عزاه إلى قحطان جدّ سائر قبائل اليمن، وإلى قبيلة قُضاعة وفهم من فروعها، إنه بمثابة عِرنينها وفخر آبائها، إنه بدر بين نجوم سطعت في سماء العروبة، وبذلك مدح الشاعر ممدوحه وسائر قبيلته.

إذا بَـيَّـتَ الأعْـدَاءَ كَـانَ ٱسْـتِـمَـاعُـهُـمْ
صَـرِيـرَ الْـعَـوَالِـي قَـبْـلَ قَـعْـقَـعَـةِ الـلُّـجُـمِ (١)
مُـذِلُّ الأعِـزَّاءِ الـمُـعِـزُّ وَإنْ يَـئِـنْ
بِـهِ يُـتْـمُـهُـمْ فَـالْـمُـوتِـمُ الْـجَـابِـرُ الْـيُـتْـمِ (٢)
وَإنْ تُـمْـسِ دَاءً فِـي الْـقُـلُـوبِ قَـنَـاتُـهُ
فَـمُـمْـسِـكُـهَـا مِـنْـهُ الـشِّـفَـاءُ مِـنَ الْـعُـدْمِ (٣)
مُـقَـلَّـدُ طَـاغِـي الـشَّـفْـرَتَـيْـنِ مُـحَـكَّـمِ
عَـلَـى الـهَـامِ إلا أنّـهُ جَـائِـرُ الْـحُـكْـمِ (٤)
تَـحَـرَّجَ عَـنْ حَـقْـنِ الـدِّمَـاءِ كَـأَنَّـهُ
يَـرَى قَـتْـلَ نَـفْـسٍ تَـرْكَ رَأْسٍ عَـلَـى جِـسْـمِ (٥)

(١) بيّتَ الأعداء: هاجمهم ليلاً. القعقعة والصرير: من الأصوات المزعجة التي تصدرها الأسلحة. العوالي: الرماح. يصف الشاعر ممدوحه باحتراسه الشديد، إنه يُعدّ العُدّة ويتدبّر الأمر بعناية ويُهاجم أعداءه ليلاً بسكون الليل وعتمته، فتُسمع قعقعة السلاح وصريرها في أجساد أعدائه يُقتل فيهم. ما ذكره الشاعر من حسن تكتّم ممدوحه وشدّة احتراسه لا يعني ذلك قوّة وشجاعة، وإنما يعني خديعة ومكراً.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٠. يئن: يحن. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه يُذلّ الأعزاء وهم الأعراب، ومن طبيعتهم عدم الرضوخ والإذعان لأحد فإذا بالممدوح يكسر أنوفهم ويُذلّهم، وفي المقابل فهو يرفع من الأذلّاء فيرفع من عثراتهم ويعتزّون بمنعته وحمايته، فضلاً عن مساعدة اليتيم الذي قُتل والده فيعتني به ويُعينه بكفالته له.

(٣) القناة: الرمح. العدم: الفقر. الداء: المرض. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه بطل، يخترق رمحه قلوب أعدائه، فيُنزل بهم داءً لا شِفاء منه، إنه الموت المؤكّد، وفي المقابل فيده مصدر شفاء من الفقر والجوع لجوده الذي يعمّ المعدمين والمحتاجين.

(٤) مقلّد: حامل. الطاغي: الظالم. شفرتا السيف: حدّاه. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. يتقلّد الممدوح سيفاً لا يعرف للرحمة معنًى، يقتل بعنف ويُغالي في فتكه لأنه ذو شفرتين حادتين، وهو يُحكم الضرب جائر لا يعدل في حكمه.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٠. تحرّج: امتنع. يمدح الشاعر في =

وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنَ كَحَدِّهِ
عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى بَرِيئاً مِنَ الإِثْمِ (١)
مَعَ الْحَزْمِ حَتّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَهُ
لَأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٢)
وَفِي الْحَرْبِ حَتى لَوْ أَرَادَ تَأَخُّراً
لَأَخَّرَهُ الطَّبْعُ الْكَرِيمُ إِلى الْقُدْمِ (٣)
لَهُ رَحْمَةٌ تُحْيِي الْعِظَامَ وَغَضْبَةٌ
بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ (٤)
وَرِقّةُ وَجْهٍ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ
عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخَتْمِ (٥)

= ممدوحه أنه لا يتوقّف عن الإطاحة برؤوس أعدائه عن أجسادهم ففي ذلك حياة لهم، وإبقاؤهم على قيد الحياة يُعتبر موتاً لهم، لذا فهو يتحرّج أن يُبقيهم أحياءً. إنه مفهوم قرمطيّ لقتل الأعداء.

(١) يروى «كجدّه» بالجيم بدلاً من «كحدّه» بالحاء. يبَرئ الشاعر ممدوحه من جريرة القتل، فجدّه كان يقتل الكفار وهو على دين الإسلام، وإذا كانت الرواية بالحاء كحدّ السيف، فلا جريرة على السيف، لأنه يعمل بإرادة ممسكه وفي كلا الحالتين، فالممدوح بريء من دماء ضحاياه لخروجهم عن طاعة الأمير.

(٢) و (٣) الحزم: أخذ الأمور بالجدّ. يمدح الشاعر ممدوحه بالحزم، والحزم من طبع الناجحين في حياتهم، فلو بدا منه شيء لا يبدو حزماً، فقد يكون من متطلّبات الحزم وعين الحزم في الأمور العظام، لذا فإنه لا يتأخّر ولا يتردّد في الحرب، فمن طبعه التقدّم لا يتأخر، وإنما هي الخدعة في الحرب، ومن هنا كان النصر حليفه.

(٤) يصف الشاعر ممدوحه بأنه من الحِلم على قدر كبير، إنه يعفو عمّن أخطأ بحلمه، فهو يملك غضبه، ولكن في حال مواجهة المجرمين يفتقد قلبه الرحمة فيبطش بهم لأن ذلك إثارة الخوف في قلوب المتردّدين منهم فيستكنون ويلتزمون المهادنة والسّكينة.

(٥) رقة الوجه: كناية عن الحياء. يمدح الشاعر ممدوحه بشدّة الحياء وكريم الأخلاق، فلو نظر أحدهم إليه لانطبع على وجنتيه أثر تلك النظرة فبدت كأنها ختم لا يُفارقه.

أَذَاقَ الْغَوَانِي حُسْنُهُ مَا أَذَقْنَنِي،
وَعَفَّ فَجَازَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ[١]
فِدًى مَنْ عَلَى الْغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا
لِهٰذَا الأَبِيِّ الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرْمِ[٢]
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ ٱلْجِنِّ وَالأَمْنِ سَيْفُهُ
فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِٱلْعُرْبِ وَالْعُجْمِ[٣]
وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ
جَرَتْ جَزَعاً مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلا فَحْمِ[٤]
وَجَادَ لَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ
لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ٱبْنَةُ الْكَرْمِ[٥]

(١) الغواني، الواحدة غانية: الشابة التي اغتنت عن التزيّن بجمالها. حسنه: جماله. ترفّع: عفّ. الصرم: الهجر. يمتدح الشاعر في ممدوحه جماله وحسن خلقته، حتى إن الغانيات من الشابات يرغبن بحبّه ومبادلته حبّهن، ولكنه يصدّ عنهن لا كراهة بالنساء أو عجزاً، ولكنه عفيف ولذا جازاهن عن صرمهن للشاعر بعدم الانجذاب لهن.

(٢) الغبراء: الأرض. الأبي: الذي يرفض الدنايا. القرم: السيد. يُعلن الشاعر نيّته على أن يفدي الممدوح مع سائر ساكني الأرض بأنفسهم، إنه يأبى الضيم والذلّ والدنايا، وهو ماجد كريم يجود بماله وسيد عظيم.

(٣) حال: منع. ومن مبالغات الشاعر أن سيف الممدوح قد حمل الجنّ على الخوف، إنهم لا يأمنون سطوته، ولقد نشر في قلوبهم الرعب، فلو كان غُصّة في حلوق الجن، فماذا يفعل الأعراب وهم سادة الحروب والعجم أمام سيفه الذي لا يرحم عدوًّا.

(٤) أرهب: أرعب. الجزع: نفاد الصبر لشدّة الخوف. يردف الشاعر أن ممدوحه ذو هيبة تُرهب القلوب، فنظراته ثاقبة تخترق الحُجُب، فلو دقّق النظر في درع أحد الأعداء لساح كأنه ماء يسيل على جسم صاحبه من غير استعماله النار والفحم.

(٥) ابنة الكرم: الخمرة. يمدح الشاعر ممدوحه بالجود، إنه يتلهى بالكرم، بحيث يُظنّ أن ذلك من طبع الكرماء، فيظنّ أنه قد أسكرته خمرة فأخرجته عن طبيعته، ولكن تصرّفه في سائر شؤونه يُؤكد للرّائي أنه يتصرّف بوحي من أريحيّته وصدق نيّته.

أَطَعْنَاكَ طَوْعَ الدّهْرِ يَا بْنَ ابْنِ يُوسُفٍ
بِشَهْوَتِنَا، وَالْحَاسِدُو لَكَ بِالرُّغْمِ (١)
وَثِقْنَا بِأَنْ تُعْطِي فَلَوْ لَمْ تَجُدْ لَنَا
لَخِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ (٢)
دُعِيتُ بِتَقْرِيظِكَ فِي كلِّ مَجْلِسٍ،
وَظَنّ الّذِي يَدْعُو ثَنَائِي عَلَيْكَ ٱسْمِي (٣)
وَأَطْمَعْتَنِي فِي نَيْلِ مَا لَا أَنَالُهُ
بِمَا نِلْتُ حَتّى صِرْتُ أَطْمَعُ فِي النَّجْمِ (٤)
إذا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَزْتَنِي
فَكِلْ ذَهَباً لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْمِ (٥)

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩١. يُعلن الشاعر طاعته لممدوحه، وينسبه إلى جدّه يوسف، ويأتمر بأمره؛ إنه الخضوع إلى الدهر، وهو بذلك رديف للدهر، وفي طاعته حبّ وانجذاب لشخصه، حتى الحسّاد والأعداء دخلوا في طاعته مكرهين وذلك لشجاعته وقوّته، فكان استسلامهم رغماً عنهم.

(٢) خلناك: ظننّاك. قوّة الوهم لدى الشاعر جعلته يعتقد أن الممدوح قد جاد عليه من كرمه وهو لم يعطه شيئاً بعد. لثقته بأن كرمه لا يتوقّف لأي سبب، إنه مدرار دائم الجود.

(٣) التقريظ: الإشادة والمدح. لقد كانت للشاعر جولات، في كلّ مكان، يدور لسانه فيها بمدح الحسين بن إسحاق، حتى جعل السامعين يُنوّهون بعلاقة الشاعر بالممدوح، ممّا حملهم على القول بارتباط اسميهما كثنائي في عالم الشعر والسياسة.

(٤) الطمع ظاهرة سيئة إلّا في بعض الحالات كطلب العلم والاستزادة منه، ولكن الشاعر يذكر طمعه في الاستزادة من المال، وقد حصّل منه الشيء الكثير على يدي ممدوحه، ممّا حمله على طلب ما لا يُمكن أصلاً كتحصيل النجوم وإدراكها.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩١. القِرن: الكفء في الحرب. أجزتني: منحتني جائزة. الكلم، بسكون اللام: الجرح. يقترح الشاعر على ممدوحه بأنه إذا التقى القرن في المبارزة، فلتكن ضربته بقوّة بحيث تغور في جسده ولتكن جائزته كلّما فعل ذلك بمقدار اتساع جراح الكفء الذي أودى به إلى الهلاك، فيكثر ماله وغناه.

أَبَــتْ لَــكَ ذَمِّــي نَــخْــوَةٌ يَــمَــنِــيَّــةٌ،
وَنَــفْــسٌ بــهَــا فــي مَــأْزِقٍ أَبَــداً تَــرْمِــي (١)
فَــكَــمْ قَــائِــلٍ لَــوْ كَــانَ ذَا الــشَّــخْــصُ نَــفْــسَــهُ
لَــكَــانَ قِــرَاهُ مَــكْــمَــنَ الْــعَــسْــكَــرِ الــدَّهْــمِ (٢)
وَقَــائِــلَــةٍ وٱلأَرْضَ أَعْــنِــي تَــعَــجُّــبــاً
عَــلَــيَّ ٱمْــرُؤٌ يَــمْــشِــي بِــوَقْــرِي مِــنَ ٱلْــحِــلْــمِ (٣)
عَــظُــمْــتَ فَــلَــمّــا لَــمْ تُــكَــلَّــمْ مَــهَــابَــةً
تَــوَاضَــعْــتَ وَهْــوَ الْــعُــظْــمُ عُــظْــماً عَــنِ الْــعُــظْــمِ (٤)

الموج مثل الفحول

وقال يمدح علي بن إبراهيم التنوخي:

[المنسرح]

أَحَــقُّ عَــافٍ بِــدَمْــعِــكَ الْــهِــمَــمُ
أَحْــدَثُ شَــيْءٍ عَــهْــداً بِــهَــا الْــقِــدَمُ؟ (٥)

---

(١) أبت: رفضت. الذمّ: القدح وذكر المساوئ. النخوة: المروءة. المأزق: مواطن الحرج. يروى «عربية» بدلاً من «يمنيّة». ليس من رذائل تشوّه ذكر الممدوح، لذا يرفض الشاعر أن يقدح بممدوحه، فالمروءة اليمنيّة تأبى إلّا ذكر فضائل الممدوح؛ إنه كريم شجاع حليم مضياف ينجد الملهوف ويُغيثه بالمال.

(٢) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩١. القرى: الظهر. المكمن: المخبأ. الدهم: الكثير. ينوّه الشاعر بعظيم شجاعة ممدوحه؛ فثمة من يقولون: لو أن جسم الممدوح على قدر عظم نفسه وبعد همّته، لكان ظهره يحتمي به الجيش العرمرم.

(٣) الوقر: الثقل. حتى الأرض تعجب كيف أن امرأً يمشي عليها برزانة وتعقّل رغم ما بينهما من ثقل الحلم، ولم يتكبّر ويفخر بما لديه من صفات.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٣. يمدح الشاعر ممدوحه بأنه جمّ التواضع، عظم بنفسه، فكان ساكتاً لا ينطق إلّا بالحقّ ممّا حمل الناس على تعظيمه فهم لا يكلمونه لمهابته إلّا إذا أذن لهم، وذلك من التواضع، ولقد رفعه التواضع إلى أشرف مكان، فكان جديراً بمكانته العالية.

(٥) أجدر: أحقّ. العافي: الدارس. يبدأ الشاعر قصيدته والألم يعصر قلبه، فالمقاييس =